التربية الاسرية في نظر مفسري الشيعة

طالب الدكتوراه- قاسم سعدون كريدي- جامعة ايلام. كلية الهيات ومعارف إسلامية

أستاذ دكتور- سهراب غضبان جوانمير المحترم - جامعة ايلام. كلية الهيات ومعارف إسلامية

استاذ دكتور- عبد الجبار محمود احمد المحترم- جامعة ايلام. كلية الهيات ومعارف إسلامية

الملخص

ان النظام التربوي عند الشيعه والذي هو فرع من النظام التربوي العام له ميزاته عن غيره من فروع التربية الاسلامية الاخرى فالشيعه رغم اعتقادهم ان القران هو كتاب المسلمين وان السنه تفسر وتكمل القران الا انهم يرون بان المدارس الاسلامية الاخرى لم تنقل المصدرين من منابعهما الحقيقية وان حملة الشريعه بعد رسولنا الكريم (صل الله عليه واله وسلم) هم الائمة المعصومون، مما ترتب على ذلك وقوع الخطأ والاضافة والنقص لان نقلتها غير معصومين، ونتج عن هذا الاختلاف في الاعتقاد بين الشيعه وغيرهم من المسلمين نتائج تربوية وتعليمية ذات شأن فالرحلة في طلب العلم خاصة في زمن الائمة (عليهم السلام) اتخذت عند الشيعه طابعا مميزا عن غيرهم من المسلمين فالطالب الامامي يرحل للقاء الامام لياخذ الحديث من مصدره الذي لاشك في قوله في حين ان الطالب غير الامامي يتلقى الحديث من اناس ليسوا بمعصومين) .

ان اكثر مايميز مدرسة اهل البيت (عليهم السلام) هو التماسك الفكري الوثيق والترابط بين افكارها واتجاهاتها وهذا ما اجتهد ائمتنا الاطهار عليهم السلام من اجل تحقيقه على ارض الواقع حفاظا على المقياس العقائدي والرسالي في المجتمع ومن هنا نجد ان ما قدموه من قيم تربوية مرتبطه ببعضها البعض ترتبط فيها العقيده مع العبادات مع الاخلاق وصولا لهدف واحد وهو التوحيد.

Abstract
The educational system of the Shiites, which is a branch of the general educational system, has its advantages over other branches of Islamic education. The Shiites, despite their belief that the Qur'an is the book of Muslims and that the Sunnah interprets and completes the Quran, but they believe that other Islamic schools did not transfer the two sources from their true sources and that the Shariah campaign After our Noble Messenger, may God bless him and grant him peace, they are the infallible imams, which resulted in errors, additions and omissions, because they were not transmitted by infallible ones What resulted from this was the occurrence of errors, additions and omissions, because they were transmitted by infallible ones, and this difference in belief between Shiites and other Muslims resulted in educational and educational results of importance. He travels to meet the imam to take the hadith from its source, which there is no doubt in his saying, while the non-Imam student receives the hadith from people who are not infallible.
The most distinguishing feature of the Ahl al-Bayt School, peace be upon them, is the close intellectual cohesion and the interconnectedness between its ideas and trends. With worship, with morals, to reach one goal, which is monotheism.

المقدمة

أ ن العملية التربوية هي عملية تشكيل للمخزون الثقافي والنفسي والسلوكي الذي سيلقي بظلاله على الإنسان طيلة مسيرة حياته، ولاشك ولا ريب ان دور الأم في الاسرة يشكل الدعامه الاولية والأساسية في هذا المخزون وفي الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام: "إنما قلب الحدث كالأرض الخالية، ما ألقي فيها من شيء إلا قبلته" وإلى هذه الحقيقة يشير الإمام الخميني قدس سره بقوله: "وإن معظم المفاسد ناتجة عن هذه العقد التي تنشأ عند الأطفال" . ويقول قدس سره: "إن طفلاً صالحاً يتربى في أحضانكن من الممكن أن يسعد شعباً كاملاً".

يذكر القرآن الكريم: في مجال بناء الأسرة **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا }** (التحريم:٦) أعتنى الإسلام بتربية الأبناء عناية فائقة، وألقىَ على عاتق الأهل ما سيكونَ عليه الولد في مسلكه الدنيوي ومصيره الأخروي إن هم قصروا في تربيته وإعداده.

الأسرة مؤسسة اجتماعية تتكون من زوج وزوجة وأطفالهما، يحكمها ويسير شؤونها نظام حقوق وواجبات، والزواج هو الوسيلة الوحيدة لتشكيل الأسرة؛ وهو الارتباط المشروع بين الرجل والمرأة،

وهي أولى المؤسسات الاجتماعية وأعمقها جذورا؛ حيث تؤدي دورا فعالاً في اتّزان الأفراد، وازدهار المجتمعات؛ ولذلك يُلاحظ أنّ أغلب الفلاسفة والمنظّرين في العلوم الإنسانيّة منذ بداية التاريخ العلمي المكتوب قد كتبوا عن الأسرة. وقدَّمت الدياناتَ الإلهية تعاليم وتشريعات تفصيلية مهمة في هذا المجال، وبخاصة الدين الإسلامي باعتباره آخر الآديان؛ حيث اعتبر أن الأسرة أحب موسسة بشرية عند الله وأعزهاً، حيث روي: "ما بني في الإسلام أحب إلى الله من التزويج"، ولا شك بأن التعاليم الإسلامية حول الزواج والأسرة تمثّل النظام الأمثل لتلبية الحوائج المادية والنفسية والمعنوية للإنسان؛ بما تشكّله من أرضية لتأمين الأمن والارتياح النفسي لأعضائها، وتربية الأجيال الجديدة، ودمجهم في المجتمع، وتلبية الحوائج العاطفية للأفراد

العوامل المؤثرة على تربية الأبناء

أشار العديد من العلماء أن شخصية الولد تتأثر في نموها بعوامل ثلاثة وهي: الوراثة، والبيئة، والتربية.

في مضمار التربية السليمة للأبناء... على الأبوين أن يكون لهما الوعي التربوي الذي يبنى على أسس صحيحة ويتوفر لديهم فهم لأساليب التربية والتوجيه والرعاية وهذه نقطة البداية.

فمثلاً في أسلوب التعامل مع الطفل تبرز أمامنا ثلاثة اشكال لتعامل الآباء مع الأبناء:

الأسلوب التربوي الأول: أسلوب الدلال المفرط هذا الأسلوب له نتائجه السلبية الخطيرة، لإنه يخلق شخصية هشة متميعة وشخصية اتكالية تحب الكسل والخمول مجردة من الهدف والإقدام، انهزامية غير قادرة على مواجهة التحديات وبمعنى أدق شخصية لا تثق بنفسها. شخصية متسيبة في ظل غياب المراقبة والمحاسبة وهذا التسيب يقود إلى الانفلات والانحراف.

الأسلوب التربوي الثاني : أسلوب التربية القاسية والعنف.

هذا الأسلوب أيضاً له نتائجه الخطيرة والسلبية التي يعاني منها الأبناء طوال حياتهم فهو يخلق شخصية قلقة ومتأزمة ومعقدة وخائفة وتحمل عقدة الخوف، شخصية حاقدة وعدوانية وقد تتأزم الأمور لتصبح شخصية منافقة وكاذبة خوفاً من العقاب والتعنيف ضمن حدود الأسرة ولكن يوماً من الأيام سينطلق هذا الشخص ليواجه المجتمع ككل، فلنتصور كيف سيتعامل مع المحيطين

ضمن مجالات الدراسة والعمل وهو شخصية هاربة من أجواء الأسرة وقد يعرضها للتسيب والانحراف لأنها شخصية متمردة مما يعرضها للعقوق.

الأسلوب التربوي الثالث: التوازن[١].

من شروط نجاح التربية التوازن في المعاملة ما بين الأمور التي تحتاج إلى شدة وحزم ليتربى على أن هذه الأمور خطوط حمراءطبعاً هنا يمكن أن يعترض أحد ويقول: لا للعنف الأسري ولا لاستخدام القسوة.

نعم فهناك طرق غير استخدام العنف. يكفي ان يبدي الآباء انزعاجهم مثلاً.

وهنا النقطة مهمة جداً، وهي: أن نوضح لهم سبب المنع والرفض إن الإمام زين العابدين (عليه السلام) يصرح بمسؤولية الأبوين بتربية الطفل، ويعتبر التنشئة الروحية والتنمية الخلقية لمواهب الأطفال واجباً دينياً يستوجب أجراً وثواباً من الله تعالى، وأن التقصير في ذلك يعرض الآباء إلى عقاب الله.

فيقول (عليه السلام):"وأما حق ولدك عليك فأن تعلم أنه منك ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشره. وأنك مسؤول عما وليته به من حسن الأدب والدلالة على ربه عز وجل والمعونة له على طاعته. فأعمل في أمره عمل من يعلم أنه مثاب على الإحسان إليه معاقب على الإساءة إليه " .[٢]مراحل تربية الأبناء في مفهوم أهل البيت (عليه السلام) كان حديثنا السابق عن المؤثّرات في تكوين الولد الصالح في المرحلة التي تسبق التربية المباشرة للطفل. وها هنا نشرع في الحديث عما قدمته الشريعة الإسلامية الحنيفة في تربية الولد بعدما حثّت على حسن أدائها وأوجبت لمن أحسنها مغفرة الله تعالى؛ فعن الإمام الصادق عليه السلام: "**أكرموا أولادكم، وأحسنوا آدابهم يغفر لكم**" [٣] ، وفي الحديث: " **لئن يؤدّب أحدكم ولده خير له من أن يتصدّق بنصف صاع كل يوم**" .[٤]

بينت أحاديث أهل بيت العصمة (عليهم السلام) مراحل التربية ، بحسب سنوات عمره ، إلى مراحل ثلاث

١- حنان الزيرجاوي، أساليب في التربية، ٢٠١٨، https://alkafeelblog.edu.turathalanbiaa.com/

٢ - مكارم الأخلاق للطبرسي ص٢٣٢

٣ - الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج١٥، ص١٩٥

٤ - الحر العاملي، المصدر السابق

:

أولاً: السنون السبع الأولى

ثانياً: السنون السبع الثانية

ثالثاً: السنون السبع الثالثة

ووجه الفكر النبوي الشريف إلى أهمية ترك الولد بحرية في أول سبع سنين، ثم تأديبه ومراقبته ومحاسبته على أفعاله في السنوات السبع الثانية، ثم مصاحبته وإشعاره بنوع من الاستقلالية في السنوات السبع الثالثة. فعن نبي الإسلام (صل الله عليه وآله وسلم): "الولد سيد سبع سنين، وعبد سبع سنين، ووزير سبع سنين" [١].

أولاً: السنوات السبع الأولى

أكّد الإسلام في هذه المرحلة من عمر الولد على عدة أمور نعرض منها :

العاطفة مع الأطفال دعا أهل البيت (عليهم السلام) إلى الاهتمام، في هذه المرحلة الحساسة من عمر الطفل، بالجانب العاطفي الذي له أثر كبير في مستقبل الطفل. فقد يولّد الفراغ العاطفي وعدم الاهتمام بالطفل وملء كياته بالحب والحنان، آثاراً لا تحمد عقباها في المستقبل، وتشير بعض دراسات علم النفس إلى أن اللّجوء إلى المخدرات قد يكون أحد أسبابه عدم الاهتمام العاطفي بالطفل من قبل والديه، فيلجأ في شبابه إلى تعاطي المخدّرات. أكّد الفكر الأسلامي على ملء الجانب العاطفي، كما نلاحظ ذلك في كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) لابنه الإمام الحسن (عليه السلام) : "وجدتك بعضي، بل وجدتك كلّي، حتى كأنَّ شيئاً لو أصابك أصابني، وكأنَّ الموت لو أتاك أتاني" .[٢]

الصبر على الأطفال

أمر الإسلام بالصبر على ما يلاقيه الوالدان من الطفل، لا سيَّما في السنين السبع الأولى التي يصدر فيها عن الطفل ما يرهق الوالدين، ويشغل بالهما، فكثيراً ما قد يبكي، وكثيراً ما قد يمرض،

[١] - الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج١٥، ص١٩٤ ــ ١٩٥
[٢] - بيضون، تصنيف نهج البلاغة، ص٦٤٣

وكثيراً ما قد يشاغب في لعبه. وعلى قاعدة "الولد سيد سبع" أمر الإسلام بالصبر على كل هذا مبيناً الأجر الذي يمنحه الله تعالى للوالدين، أو المصلحة للطفل حينما يكبر. ونعرض في ما يلي نماذج من الأحاديث الواردة في الصبر على الأطفال ؟

فقد ورد أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: "لا تضربوا أطفالكم على الصبر على بكاء الأطفال بكائهم، فإن بكاءهم أربعة أشهر شهادة أن لا إله إلّا الله، وأربعة أشهر الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وآله ، وأربعة أشهر الدعاء لوالديه".[١]

وقد نقل لنا تاريخ الإسلام تعامل النبي صلى الله عليه وآله وسلم الممتلئ رحمة مع بكاء الأطفال وصراخهم، وذلك حينما كان يصلّي بالناس صلاة الظهر فخفّف في الركعتين الأخيرتين وأسرع فيهما، فلما انصرف، قال الناس: هل حدث في الصلاة شيء؟ قال صل الله عليه وآله وسلم: وما ذاك؟

قالوا: خفّفت في الركعتين الأخيرتين .

فقال لهم (صل الله عليه وآله وسلم): "أو ما سمعتم صراخ الصبي؟!" [٢]

فقد أسرع النبي بصلاته شفقة على صراخ الطفل الذي تركته أمّه وقامت تصلّي، فعجَّل في صلاته رحمةً به .

الصبر على مرض الأطفال

وكما أمر الإسلام بالصبر على بكائهم أمر بالصبر على مرضهم مبيناً الأجر في ذلك، فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في المرض يصيب الصبي فقال عليه السلام: "كفّارة لوالديه".[٣]

ملاعبة الأطفال *

إضافة إلى ما مرَّ أكّد الإسلام على لزوم تفهم الوالدين لمرحلة الطفولة في التعامل مع الأولاد، فلا بدَّ للأب – وكذا الأم – أن يترك شأنه ومقامه الاجتماعي بل ما يستدعيه عمره في التعاطي مع

[١] - الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج١٥، ١٧١
[١] - المصدر السابق، ص١٩٨
[٣] - المصدر السابق، ص٢١١

الناس في المجتمع لينزل إلى مستوى طفولة الولد فيلاعبه بكل عطف وحنان ورحمة، وهذا ما بيَّنه النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم في قوله: "من كان عنده صبي فليتصاب له". [١]

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: "من كان له ولد صبا" [٢]

وقد مارس النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمرأى المسلمين التصابي للأطفال وذلك حينما رأوه يحبو والحسن والحسين عليهما السلام على ظهره، وهو يقول: "نعم الجمل جملكما، ونعم العدلان أنتما". [٣]

المناهج التربوية الخاطئة

لايقدر البعض مدى اهمية فترة الطفولة في حياة الافرا مستقبلاً ويعتقد البعض أن صغر سن الأولاد يسمح لهم بهامش كبير من التعاطي بلا حساب، على أساس أن الأولاد في هذه المرحلة لا يتأثّرون بنوعية التعامل معهم، فتسقط اغلي الأهالي باخطاء تربوية فادحة تؤدي الى مشاكل جمة مستقبلاً ومن هذه الاخطاء :

أولاً: أخلاف العهد والوعد

فقد يَعِدُ الوالدان الطفل بوعود كثيرة، ثم لا يفون بها، ظناً منهم أنّ هذا لا يؤثّر في تكوين شخصيته لأجل صغر سنه، إلاّ أن النبي الأكرم (صل الله عليه وآله وسلم) حذّر من عاقبة الخلْف في وعد الأطفال؛ وذلك لأن الطفل ينظر إلى والديه على أساس أنهما سبب رزقه ومصدره، وهي نظرة لها بعد كبير في نفس الطفل، فإذا أخلف الوالدان وعد هما، فإن نكسة بحجم النظرة ستكون في كيان هذا الطفل.

هذا بالإضافة إلى أن الولد ينظر إلى والديه على أنهما القدوة الأولى، فيسبب خلفهما بالوعد الذي وعداه به، عدم الثقة بأقوال الناس بعد أن فقد الثقة بالقدوة الأولى عنده. من هنا قال رسولنا الكريم (صل الله عليه وآله وسلم) في ما ورد عنه " **أحبوا الصبيان وارحموهم، وإذا وعدتموهم شيئاً ففوا لهم؛ فإنّهم لا يرون إلاّ أنّكم ترزقونهم**" [٤]، أو قوله (صل الله عليه وآله وسلم) "**إذا واعد أحدكم صبيَّه فلينجز**" [٥].

١- المصدر السابق
٢- المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٢، ص٢٨٥
٣- الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج١٥، ص٢٠١
٤- الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج١٥، ص٢٠١
٥- الطبرسي، مستدرك الوسائل، ج١٥، ص١٧٠

وهنا نذكر قول الإمام أبي الحسن (عليه السلام): "**إذا وعدتم الصبيان ففوا لهم، فإنّهم يرون أنّكم الذين ترزقونهم، إن الله عزّ وجل ليس يغضب لشيء كغضبه للنساء والصبيان**".[١]

ثانياً: التفرقة المادية والمعنوية بين الأبناء

وحذّرت أهل البيت الطاهرين من التفريق بين الأولاد في إظهار المحبة داعين إلى المساواة بين الأولاد في ذلك.فقد ورد أن رسول الله (صل الله عليه وآله وسلم) نظر إلى رجل له ابنان، فقبَّل أحدهما، وترك الآخر، فقال النبي (صل الله عليه وآله وسلم): "**فهلا ساويت بينهما**" [٢]. وينقل الإمام الصادق (عليه السلام) عن والده الإمام الباقر (عليه السلام) أنه كان يداري بعض ولده فيجلسه على فخذه ويكسر له السكر، مع أنّ الحق كان في ولد آخر، ويعلّل الإمام (عليه السلام) ذلك بقوله: "**لا يصنعوا به ما فُعل ببيوسف وإخوته، وما أنزل الله سورة إلاّ امتَثالا...**" [٣] .

كما رفض الإسلام تفضيل الذكور على الإناث من مبدأ تحقير الأنثى والتشاؤم من وجودها، فقد ذكر عن النبي (صل الله عليه وآله وسلم): " **من كان له أنثى، فلم يبدها ولم يُهِنْها، ولم يُؤْثِر ولده عليها أدخله الله الجنّة**".[٤]

لقد ذكرت أحاديث عديدة منها مكانة البنات في الاسلام ومما يذكر عن النبي (صل الله عليه وآله وسلم): "**نِعْمَ الولدُ البنات ، ملطفات، مجهزات، مؤنسات، باكيات، مباركات**" .[٥]

وفي الحديث عنه (صل الله عليه وآله وسلم) : "من كانت له ابنة واحدة كانت خيراً من ألف حجة، وألف غزوة، وألف بدنة، وألف ضيافة" .[٦]

وأخبر نبيُّ الإسلام بركة الملائكة التي يسببها وجود البنات في البيت فعن النبي (صل الله عليه وآله وسلم): " **ما من بيت فيه البنات إلاّ نزلت كل يوم عليه اثنتا عشرة بركة ورحمة من السماء، ولا ينقطع زيارة الملائكة من ذلك البيت يكتبون لأبيهنَّ كل يوم وليلة عبادة سنة**". [٧]

---

١ - الطبرسي، المصدر نفسه، ص٢٠٢
٢ - المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٤، ص٨٤
٣ - المجلسي ، المصدر نفسه ، ص٧٨
٤ - الطبرسي، مستدرك الوسائل، ج١٥، ص١١٨
٥ - الطبرسي ، المصدر السابق، ص١١٥
٦ - الطبرسي ، المصدر السابق، ص١١٥
٧ - الطبرسي ، المصدر السابق، ص١١٦

ودعا الإسلام أن يبدأ الوالد بابنته حينما يريد أن أن يوزّع ما جلبه للأولاد. فعن النبي (صل الله عليه وآله وسلم): " **من دخل السوق، فاشترى تحفة، فحملها إلى عياله، كان كحامل صدقة إلى قوم محاويج، وليبدأ بالإناث قبل الذكور**" .[١]

واكد النبي (صل الله عليه وآله وسلم) أنّ من سعادة المرأة أن تكون البنت هي أول أولادها، فعنه (صل الله عليه وآله وسلم): "**من يمنِ المرأة أن يكون بكرها جارية**" .[٢]

وحدد الرسول الكريم (صل الله عليه وآله وسلم) الموقع الشريف لمن عال بنتاً حينما قال في ما ورد عنه : "**من عال واحدة أو اثنتين من البنات جاء معي يوم القيامة كهاتين**" وضم إصبعيه.[٣]

ثالثاً: عدم زرع الحياء في نفوس الأبناء من الأمور التي حذّر منها الإسلام هو ممارسة العلاقة الخاصة بين الزوجين وفي المكان ولد يراهما ويسمعهما، فإن ذلك يفسد الولد في مستقبله وقد يحوله إلى زان. فعن الإمام الصادق **عليه السلام: "لا يجامع الرجل امرأته ولا جاريته وفي البيت صبي، فإن ذلك مما يورث الزنا"** [٤]. وعن النبي الأعظم (صل الله عليه وآله وسلم): "**والذي نفسي بيده لو أن رجلاً رجلاً غشي امرأته وفي البيت صبي مستيقظ يراهما، ويسمع كلامهما ونفَسهما، ما أفلح أبداً، إن كان غلاماً كان زانياً أو جارية كانت زانية**".[٥]

لذا دعا الدين الحنيف إلى الحياء من الآخرين عند العلاقة الخاصة، فعن النبي عيسى عليه السلام: "إذا قعد أحدكم في منزله فليرخِ عليه ستره، فإن الله تعالى قسم الحياء كما قسم الرزق" [٦]. ومن الحكم اللطيفة ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: "**تعلّموا من الغراب ثلاث خصال، استتاره بالسفاد، وبكوره في طلب الرزق، وحذره**" . [٧]

رابعاً: الأختيار الخاطىء عند التزويج

---

١ - الطبرسي ، المصدر السابق، ص١١٨
٢ - المجلسي، بحار الأنوار، ج١٠٤، ص٩٨
٣ - الطبرسي، مستدرك الوسائل، ج١٥، ص١١٦
٤ - الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج١٤، ص٩٤
٥ - الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج١٤، ص٩٤
٦ - الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج١٤، ص٩٦
٧ - لحر العاملي، وسائل الشيعة، ج١٤، ص٩٦

بينت اغلب الدراسات التربوية والاجتماعية الأثر الواضح للوراثة والمحيط الاجتماعي في تكوين شخصية الانسان فهي تؤثر عليه من كل الجوانب الجسدية والنفسية والروحية ، فاغلب الصفات تنتقل من الوالدين والاجداد الى الأبناء ، اما بالوراثة المباشرة او بخلق الاستعداد والقابلية للاتصاف بهذه الصفات ، ومن ثم يأتي دور المحيط التربوي [١] ليقرر النتيجة النهائية للشخصية .

وقد دلت الروايات الواردة عن الرسول الاكرم (صل الله عليه وآله وسلم) وعن اهل البيت عليهم السلام على ذلك ومنها قوله : **تخيروا لنطفكم فان العرق دساس)** .[٢]

ويقابل مصطلح العرق في الوقت الحاضر مصطلح الجينات والتي تحملها الصبغيات (الكروموسومات) التي تحتويها نواة الخلية الناجمة عن البويضة الانثوية المخصبة ، وياتي تحذيره من العرق الدساس بالنظر الى الصفات النفسية والروحية والخلقية التي تنتقل بالوراثة لان العامل الوراثي هو الذي يخلق الاستعداد في نفس الوليد للاتصاف بصفة من الصفات التي يحملها الوالدان او الأجداد .

كذلك نجد ذلك في قول الامام الصادق عليه السلام : " **ان الله تبارك وتعالى اذا أراد ان يخلق خلقا جمع كل صورة بينه وبين ابيه الى ادم ، ثم خلقه على صورة احدهم ، فلا يقولن احد هذا لايشبهني ولا يشبه شيئا من ابائي** ".[٣]

ومن اللافت للنظر ان العلم الحديث يتفق مع اراء اهل البيت في هذا الموضوع فقد أظهرت دراسات علمية ان (وراثة المولود لايحددها ابواه المباشران فقط ، انما هو يرث من جدوده واباء جدوده وهكذا)) [٤] (ومن البديهي ان معظم وراثة الانسان تنحدر اليه من ابائه الاقربين وان اثر الجدود الاباعد يقل كلما زاد بعدهم وعلى هذا نستطيع القول : (ان نصف الوراثة من الابوين ، وربعها من الجدود وثمنها من اباء الجدود وهكذا [٥].)

اما عن اهم الخصائص او الصفات التي تنتقل بالوراثة فهي:

---

١ - المحجة البيضاء : ٩٣/٣
٢ - علل الشرائع :١٠٣

٤ -علم النفس التربوي ، الدكتور علي منصور ، دار البصائر بيروت ، ٢٠٠٧م. : ٣٩
٥ علم النفس التربوي : ٣٩ -

الصفات الجسمية . الصفات العقلية . الطباع والسجايا . طبيعة أعضاء الجسد قوة وضعفا طبيعة المزاج . غرابة الطبع وبعض الحالات النفسية[١].

نلاحظ ان الصفات التي تنتقل بالوراثة يمكن ان تنقسم الى نفسية وعقلية وخلقية وهي اما ان تنتقل بصورة مباشرة او يحصل الاستعداد الفطري للاتصاف بها.

ومن الروايات الصادرة عن اهل البيت عليهم السلام في هذا المجال تحذير الامام علي عليه السلام من تزويج المرأة الحمقاء بسبب انتقال هذه الصفة الى ذريتها في قوله : " **اياكم وتزويج الحمقاء ، فان صحبتها بلاء ، وولدها ضياع**[٢]. "

مقولة الامام هذه تتفق مع الدراسات الحديثة التي ترى ان الوراثة تؤثر في النمو العقلي والصحة العقلية أي ان الوراثة تؤثر في المواقف [٣] ومن تلك الخصال التي تتأثر بالوراثة خصلة الشجاعة ومن الشواهد التاريخية على ذلك قصة زواج الامام علي عليه السلام بعد وفاة الزهراء الطاهرة عليها السلام وما طلبه من أخيه عقيل ان يختار له امراة ولدتها الفحول من الرجال كي تلد له شجاعا ينصر الحسين في قضية كربلاء.[٤]

فضلا عن هذا لدينا امثلة وشواهد اخذناها من روايات اهل البيت تتحدث عن منزلة الصفات الخلقية التي تتاثر بالوراثة ومنها تحذير الامام الصادق عليه السلام في قوله : " **من زوج كريمته من شارب خمر فقد قطع رحمها** ".[٥]

كيفية بناء الأسرة السليمة

ويشمل هذا العامل جميع مواقع التاثير المتعلقة بالواقع الاجتماعي الذي يعيشه الفرد ومنها الاسرة والأصدقاء والمجالس والمساجد والعلماء وسياسة الدولة وغيرها.

اما ما يتعلق بالأسرة فهي المحيط التربوي الأساسي المسؤول عن تربية الأبناء تربية صالحة حتى يصبحوا عناصر فعالة في تطور الإنسانية وخدمة المجتمع ونتيجة هذه الأهمية ابدى اهل البيت توجيهاتهم بهذا الخصوص ومنها مقولة الامام زين العابدين عليه السلام :" وأما حق ولدك فتعلم أنه منك ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشره وأنك مسؤول عما وليته من حسن الأدب

---

[١]- المصدر نفسه

[٢]- للمزيد عن هذا الموضوع ينظر دراسة الدكتور عبد الفتاح دويدار المعنونة ب (سيكولوجية النمو والارتقاء) :٨١.

[٣]- أصول الكافي :٣٥٤/٥ ، وسائل الشيعة : ٨٥/٢٠.

[٤]- ينظر تفاصيل القصة كاملة في كتاب مقتل الحسين عليه السلام أسرار الشهادة المعروف بسر وقعة الطف ، السيد كاظم الحسيني ، تحقيق الشيخ عبد الكريم العقيلي ، منشورات بنت رسول الله (ص) ،د.ت أصول الكافي ، للشيخ الكليني ،دار الكتاب العربي ، بيروت ، ٢٠٠١. : ٢٠٩ ، وكتاب اسرار الشهادة : ٣٨٧.

[٥]- أصول الكافي : ٣٤٧/٥.

والدلالة على ربه والمعونة له على طاعته فيك وفي نفسه، فمثاب على ذلك ومعاقب فاعمل في أمره عمل المتزين بحسن أثره عليه في عاجل الدنيا المعذر إلى ربه فيما بينك وبينه بحسن القيام عليه والأخذ له منه ولا قوة إلا بالله " .[١]

وهنا نلحظ ان دور الاسرة لا يحدد سلوك افرادها فحسب انما يحدد جميع مقومات الشخصية الفكرية والعاطفية والنفسية اذ ينعكس التعامل مع الأبناء على اتزانهم النفسي والانفعالي ، ومن هنا يختلف الوضع النفسي من فرد الى اخر في اسرة واحدة او في اسر متعددة تبعا لنوع المعاملة والرعاية والاهتمام.

اما ما يخص الأصدقاء فلا شك في ان الانسان يتاثر في حياته الأولى بالاصدقاء ، فنجد عنده انعكاسا لارائهم وممارساتهم في مقومات شخصيته عن طريق الاحتكاك بهم ويتاثر الانسان باصدقائه حتى في متبنياته الفكرية ونظرته الى الحياة ومن ثم مواقفه العلمية وممارساته السلوكية لهذا نجد الامام زين العابدين عليه السلام يؤكد على ان يكون الجليس والصديق صالحا في قوله: "مجالسة الصالحين داعية الى الصلاح" [٢] نلاحظ ان الامام هنا يحث على مجالسة الصالحين والاتقياء لانها الوسيلة الكفيلة من وسائل الإصلاح أي اصلاح الفكر وإصلاح السلوك لان الانسان يتاثر بافكار وسلوك المحيطين به وخصوصا اذا كانوا من اهل الصلاح والتجربة في الحياة.

وفي مقولة أخرى للامام السجاد (عليه السلام) : " جالسوا أهل الدين والمعرفة فإن لم تقدروا عليهم ، فالوحدة آنس وأسلم ، فإن أبيتم إلا مجالسة الناس ، فجالسوا أهل المروات، فإنهم لا يرفثون في مجالسهم " [٣] ، فالحث هنا واضح على مجالسة الصالحين ومصاحبة أصحاب النصح والإرشاد.

اما مايتعلق بالمجالس فهي بيئة اجتماعية متكاملة لها اثرها في التربية لانها تخلق أجواء تربوية وفكرية وسلوكية تؤثر على المشاركين فيها ووتنوع هذه المجالس بتنوع الظروف والأوضاع كمجالس العلماء ومجالس الصالحين ومجالس حفظ القران الكريم ومجالس العزاء على الامام الحسين عليه السلام كذلك مجالس الاحتفال بولادة المعصومين عليهم السلام وغيرها.

ونبه الامام زين العابدين عليه السلام الى أهمية هذه المجالس في التربية في قوله : "مجالس الصالحين داعية الى الصلاح ".[٤]

---

[١] - تحف العقول :١٨٩

[٢] -كشف الغمة :٣٤٩/٢ ، ومستدرك الوسائل : ٣٢٨/٨

[٣] - مستدرك الوسائل :٣٢٨/٨

٣-من لايحضره الفقيه ، الشيخ الصدوق ، دار الاميرة ، بيروت ، ٢٠٠١م وسائل الشيعة ، الحر العاملي ، مؤسسة ال البيت ، قم ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ.:٤٠٩/٤

نفهم من هذه المقولة ان هذه المجالس لها الأثر الكبير في الإصلاح والتغيير.

أسس المنهج التربوي عند الامام السجاد في صحيفته(عليهم السلام) :

اهل البيت عليهم السلام عنوان مضيء في حياة الإنسانية وعنوان شامخ في تاريخ الإنسانية لا يستطيع أي باحث منصف ان يتجاوزهم كونهم اعلام الهدى وقدوة للمتقين عرفوا بالعلم والتقوى والحكمة والاخلاص لله ولرسوله وهم رواد حركة الإصلاح من خلال الطريق الذي رسموه للناس بأقوالهم وافعالهم التي صارت منهجا تربويا سليما يقول الامام الصادق عليه السلام:

"**والله ما نقول بأهوائنا ، ولا نقول برايانا ، ولا نقول الا ما قال ربنا** ".[١]

هذا الحديث يدل على عصمة اهل البيت عليهم السلام وانهم يقولون بالقران فلا افتراق بينهم وبينه وما يصدر عنهم يصدر رسول الله (صل الله عليه وسلم) وان منهجهم التربوي ماهو الا منهج رباني وضعه القادر المدبر وهو العالم بكل شيء ، فالاستجابة لهذا المنهج يرافقها الاطمئنان لأنه المنهج الأمثل في التربية خلافا للمناهج الوضعية الصادرة من البشر التي يصيبها الضعف وعدم الإحاطة التامة بأمور الحياة والحديث عن منهج الامام التربوي يتوزع بين العقيدة والأخلاق والعبادات والدعاء والحقوق فكل هذه المسائل المهمة كان للإمام سهم فيها من خلال مواعظه ونصائحه التي نقلتها لنا كتب الرواية.

اما ما يخص منهج الامام التربوي في العقيدة[٢] ، فعلينا ان ننوه الى ان مرحلة الامام السجاد كانت مرحلة عصيبة فهي مرحلة شهدت استشهاد الامام الحسين عليه السلام على يد طاغية العصر يزيد بن معاوية ، وما تلى ذلك من مجازر بحق محبي اهل البيت عليهم السلام ، هذه الاحداث دفعت الامام السجاد الى ابتكار طرق جديدة في الدعوة الى الله ونشر تعاليم الدين الإسلامي بطريقة لا تلفت انتباه السلطة الحاكمة آنذاك ومن أساليب الامام انه ابتعد عن التدخل في الحياة السياسية بنحو مباشر وانتهاج أساليب الهدف منها تهيئة الأرضية المناسبة لقيام الثورة على الحكم الفاسد ومن تلك الأساليب ابتداعه للصحيفة السجادية التي يشير ظاهرها الى انها ادعية يتوجه بها المسلم الى ربه طلبا للمغفرة والرحمة الا ان باطنها ينطوي على شيء مهم جدا وهو كون الصحيفة السجادية تمثل برنامج عمل متكامل للحياة الإنسانية رسم فيها امام طريقة سير الانسان في حياته وفق تعاليم

١- بحار الانوار : ١٧٣/٢.

٢- علم النفس التربوي ، الدكتور علي منصور ، دار البصائر بيروت ، ٢٠٠٧م:٢.٥٦

السماء ، أي ان هناك رمزية في الصحيفة السجادية تهدف الى نبذ الظلم والتبعية لغير الله سبحانه وتعالى.

ولعل كثرة بكاء الامام السجاد على ابيه الحسين عليه السلام تمثل رسالة مهمة الى الامة التي فرطت بسيد الشهداء عليه السلام بان عليهم ان يستنهضوا الهمم للأخذ بثأره من خلال عدم طاعة الظالم او الخضوع لأوامره.

اما عن منهج الامام السجاد في الاخلاق وهو منهج عملي قام به الامام من خلال قيامه بالقضاء على ظاهرة الرق والعبودية لتي كانت منتشرة في ذلك الوقت فقد كان يشتري العبيد بخالص أمواله ويقوم بتحريرهم قربة لله ، وكان هؤلاء المحررون ينشرون سيرته وفضله في ارجاء المعمورة وانه سليل بيت النبوة والشواهد على ذلك كثيرة منها ما حصل مع عبد الملك بن مروان والشاعر الفرزدق وقصيدته المشهورة بحق الامام .[١]

لقد كان لأساليب الامام المبتكرة الأثر الواضح عند عموم المسلمين من حيث إعادة الصلة الحقيقية بين المسلمين فيما يخص عقيدتهم ، مما أدى بالسلطة الحاكمة الى الدفع باتجاه التخلص من الامام عليه السلام عبر دس السم له وكما ذكرت الروايات.[٢]

ومن الشواهد الأخرى على سلوكه التربوي الخاص بالعقيدة دعاؤه واستعاذته من سيء الاخلاق ومذام الأفعال ومكاره الأمور في قوله : **(أَللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَيَجَانِ الْحِرْصِ ، وَسَوْرَةِ الْغَضَبِ وَغَلَبَةِ الْحَسَدِ وَضَعْفِ الصَّبْرِ وَقِلَّةِ الْقَنَاعَةِ وَشَكَاسَةِ الْخُلُقِ ، وَإِلْحَاحِ الشَّهْوَةِ ، وَمَلَكَةِ الْحَمِيَّةِ ، وَمُتَابَعَةِ الْهَوَى ، وَمُخَالَفَةِ الْهُدَى ، وَسِنَةِ الْغَفْلَةِ ، وَتَعَاطِي الْكُلْفَةِ ، وَإِيثَارِ الْبَاطِلِ عَلَى الْحَقِّ وَالْإِصْرَارِ عَلَى الْمَأْثَمِ، وَاسْتِصْغَارِ الْمَعْصِيَةِ ، وَاسْتِكْثَارِ الطَّاعَةِ ....**[٣]

هذا الدعاء يكشف لنا عن أهمية الاخلاق الرفيعة بالنسبة للإنسان وانها تحتل الصدارة في أولويات اهل البيت ، لان الأمم لاتتطور الا اذا تطورت اخلاقها والا فالامم محكوم عليها بالتخلف والنكوص الى الوراء.

١-ينظر الأغاني ، لابي الفرج الاصفهاني ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، دار صادر ، بيروت . تحف العقول ،الحراني ، دار الاميرة ، بيروت ، ٢٠٠٨م. ٣٧٨/١٠ .

٢ -مناقب آل أبي طالب ، محمد بن علي ابن شهر اشوب ، دار الأضواء ٤ : ١٦٣

١- رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين الإمام علي بن الحسين (ع) للسيد علي خان الشيرازي ، مؤسسة النشر الإسلامي ، جماعة المدرسين قم المقدسة . : ٦٧ ، والصحيفة السجادية ، الإمام زين العابدين.

اما عن أسلوبه التربوي في العبادات فقد نهج منهجا يتمثل في تبنيه لمبدا حرية العبادة وهو مبدا نصت عليه اغلب الدساتير العالمية حتى شكلت حرية العبادة اليوم احد وجوه الحرية الدينية وحرية الضمير ، فلا يمكن فرض الدين على الناس وفي القران الكريم إشارات واضحة الى هذه المسالة كما في قوله تعالى : **(لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ** .[١]

ومن هنا دأبت الأمم على تشريع قانون حوق الانسان الذي يسعى الى كبح جماح الغطرسة والتسلط ومنع هيمنة القوي على الضعيف ، فكانت التشريعات الدرع الواقي الذي يحمي الافراد من الانتهاكات الخطيرة بحق البشرية ومما ورد عن الامام عليه السلام في هذا الشأن قوله:

"اللهم صل على محمد وآله وبلغ بإيماني أكمل الإيمان واجعل يقيني أفضل اليقين وانته بنيتي إلى أحسن النيات وبعملي إلى أحسن الأعمال.. يا أرحم الراحمين." [٢]

ومن الصفات المهمة التي يجب ان يتحلى بها عباد الله الصالحين التي يذكرها الامام عليه السلام من دعاء مكارم الأخلاق ومرضي الأفعال، فهي أنهم يسعون إلى الحصول على (اليقين) بأفضل مراتبه، ومعنى هذه الصفة هو أنهم يتحلون باستقرار العقائد الحقة في القلب بحيث لا تؤثر عليها الشكوك والشبهات.

فضلا عن هذا أشار الامام السجاد الى المنهج التربوي السليم من خلال توظيف أسلوب الدعاء وهو أسلوب درج عليه الامام ونبه من خلاله الامة الى أهمية ان لا تنقطع صلة العبد بربه من خلال اتخاذ الدعاء وسيلة مهمة فجاء دعاء الامام بالتحميد لله عز وجل الذي تجلت عظمته واقتدر على الأشياء بالقدرة فلا الابصار تثبت لرؤيته ولا الأوهام تبلغ كنه عظمته.

لقد كان الامام السجاد عليه السلام يهدف الى ترسيخ أو بناء مفهوم جديد للعلاقة مع الله تعالى عبر الدعاء والمناجاة ، وإملاء الفراغ الروحي الناشئ عن حالات الاحباط وخيبة الأمل التي خلّفتها سياسة دموية عابثة تلفّعت بشعارات الاسلام ، ولكنها لم تنتج إلاّ الهوس والسعار ، والركض وراء الشهوات والملذّات وزوايا المتعة والمجون ، إذ نسمعه يناجي ربه قائلاً : " الهي ، كم من نعمة انعمت بها علي قل لك عندها شكري ، وكم من بلية ابتليتني بها ا قل لك عندها صبري ، وكم من معصيةٍ أتيتها فسترتها ولم تفضحني ، فيا من قلَّ شكري عند نعمه فلم يحرمني ، ويا من قل صبري عند بلائه فلم يخذلني ، ويا من رآني على المعاصي فلم يفضحني"[٣]

---

[١] - سورة البقرة :اية ٢٥٦

[٢] -الصحيفة السجادية ، الإمام زين العابدين

[٣] -الصحيفة السجادية :٤٣

وذهب اغلب الدارسين الى أن المتدبر في أدعية الصحيفة السجادية سوف يجد آثاراً واضحة تتركها مجمل أدعيته عليه السلام على طبيعة سلوكه بشكل عام. فإنه عليه السلام قد ضرب أروع الأمثلة في الخلق الاسلامي الرفيع ، وجسد الشخصية الاسلامية المثالية.[١]

وهكذا سعى عليه السلام إلى الارتفاع بالنفس المؤمنة في مدارج الكمال عبر بلورة المفاهيم الأخلاقية التربوية من خلال نسجهما بشكل دعاء فيه من الضراعة والخشوع لله تعالى واستمداد العون منه في شحذ النفس بالتعلق بأخلاق السماء ، والتعالي عن كل وضيع ، والارتفاع عن كل دنيء.

ومن المواضيع التربوية المهمة التي نبه اليها الامام السجاد عليه السلام حديثه عن الحقوق مبتدا بحق الله عز وجل مرورا بحق الوالدين وحق الابن وحق الصاحب وحق المال وما الى ذلك وكما ورد في قوله:

" **فأَمَّا حَقُّ اللهِ الأَكْبَرُ فَإِنَّكَ تَعْبُدُهُ لا تُشْرِكُ به شَيْئاً، فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلكَ بإخلاص جعل لَكَ عَلَى نَفْسه أَنْ يكفيك أَمر الدُّنْيا والآخرة ويحفظ لَكَ ما تُحبُّ منْهما.)**".[٢]

لقد رسم الامام عليه السلام في هذا المقطع المبارك أهمية توحيد الله سبحانه وتعالى والايمان المطلق بصدق نبيه صل الله عليه واله وسلم واليقين باليوم الاخر، ولعل استهلال الامام بحق الله اعترافا منه ان حق الله من اعظم الحقوق واجلها من هنا يجب ان يؤدى هذا الحق كاملا من خلال عبادته وحده لا شريك له لأنه وحده الذي يستحق العبادة دون غيره وعبادته عز وجل تهيمن على شعور الفرد وتشغله عمن سواه ، ودعوة الامام هذه مستمدة في اصلها من القران الكريم الذي حث الناس على عبادة الاله الواحد الاحد الفرد الصمد.

اما عن حقوق الرحم فقد انطلق الامام السجاد من مبدا غياب ثقافة حقوق الإنسان يؤدي إلى شيوع التعصب والتشدد والتطرف، في حين أن معرفة حقوق الذات ، فضلاً عن حقوق الآخر يؤدي إلى سيادة القانون، و نمو ثقافة الاحترام والتكريم للإنسان، تطبيقاً لقوله تعالى، ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً**﴾[٣] ، فالآية الشريفة تشير إلى تكريم الإنسان بغض النظر عن دينه أو مذهبه أو قوميته أو لونه أو عرقه.

---

١ -ظاهرتا العبادة والدعاء عند الإمام زين العابدين (عليه السلام):٣

٢ -شرح رسالة الحقوق

٣ -سورة الاسراء : اية ٧٠

ومن هنا اكد الامام على أهمية حق الوالدين ابتدا فيه بحق الام في قوله:

" فَحقُّ أُمِّك، فَــأَنْ تعْلَم أَنَّها حملتك حيْثُ لا يحْمل أَحدٌ أَحدا وأَطْعمتك من ثمرة قلْبها ما لا يطْعم أَحدٌ أَحدا، وأَنَّها وقتك بسمعهــا وبصرهــا ويدهــا ورجلهــا وشعرها وبشرها وجميع جوارحهــا مستبشرة بذلك، فرحــة موابلة ، محتملة لمــا فيه مكروهها وألمها وثقلها وغمُّها حتَّى دفعتها عنْك يد الــقدرة وأَخرجتك إلى الأَرض فرضيت أَن تشبــع وتجــوع هِي، وتكسوك وتعرى، وترويك وتظْمــأُ، وتظلك وتضحى، وتنعمــك ببؤسهــا،وتلذّذُك بالنَّوم بأَرقها، وكان بطْنهــا لَك وِعاء، وحجرها لَك حواء ".[١]

فالإمام هنا يضرب لنا أروع الصور الأخلاقية في التعامل مع الام لأنها نواة المجتمع واساس صلاحه ويعلمنا كيفية التعامل معها وكيف نصون حقها برؤية قرآنية عميقة وأسلوب بلاغي قل نوعه موظفا كل تقنيات التأثير حتى يصل الى هدفه السامي وهو الرفق بالوالدين مذكرا بالام الام ومعاناتها وماتحملته في سبيل وليدها ، وقد لعب فن الطباق دورا مهما في التاثير في قوله "**تشبع وتجوع وتكسوك وتعرى وترويك وتظمأ** ".

الخاتمة:

وبعد هذه الرحلة العلمية مع منهج اهل البيت التربوي ان الأوان ان نسجل اهم النتائج التي توصلت اليها وهي:

ان منهج اهل البيت عليهم السلام امتاز بانه منهج شمولي في التربية والتعليم فهو يراعي الانسان في جـ ميع مراحل حياته فضلا عن مقوماته كونه مخلوق مزدوج الطبيعة المتكونة من روح وعقل وغرائز ، وقد استطاع الامام السجاد عليه السلام بمنهجه التربوي ان يواكب حركة الانسان في جميع مراحله ، حتى انه وضع لكل مرحلة تعاليم خاصة بها.

اظهر البحث ان المنهج التربوي الذي اختطـه الامام السجاد عليه السلام امتاز بانه منهج تربوي واقعي يتماشى مع واقع البشرية وانه من الممكن تطبيقه عند توفر الظروف المناسبة له فهو يراعي

[١] -شرح رسالة الحقوق :٤٣

كل جوانب الانسان من خلال دعوته الى اشباع حاجات الانسان بتوازن تام حتى لا تطغى حاجة على أخرى وقد وضع لكل جانب مقوماته وحدوده الواقعية فلا تقيد مطبق ولا اطلاق للعنان دون تناه.